



المصدر: الحياة

التاريخ: ١٥ يونيو ١٩٩٢

وجهة نظر مختلفة في النظام العالمي الجديد (١ من ٣)

التعرف على الطرح الاميركي للشعار

احمد صدقي الدجاني *

■ كان موضوع النظام العالمي الجديد احد مواضيع ثلاثة نالقتها حوار عربي - صيني جرى في كين يوم ٩/٥/١٩٩٢، بدعوة من «اللجنة المصرية للتضامن» و«الجمعية الصينية للصدقة مع الدول الأجنبية»، وشارك فيه عدد من الشخصيات العامة العربية وعدد من الدبلوماسيين والخبراء الصينيين المختصين. وقد دعاني هذا الحوار الى بلورة افكاري حول هذا الموضوع الذي تابعت منذ طرحه وتقديمه في ورقة عمل.

تتضمن ورقة العمل هذه نظرية عربية الى «النظام العالمي الجديد»، وفيه نبصره وننامله ونستبهره ونفكره، في اطار حوار عربي - صيني، بينما يشهد عالمنا دخول الامم المتحدة مرحلة جديدة من تاريخها في اعقاب تحولات حدثت على الصعيد العالمي وبفعل زلزال اوروبا الشرقية والخليج. لقد ادت تحولات اوروبا الشرقية الى تغيير معادلة التوازن بين ما كان يطلق عليه في الغرب العالمين الاول والثاني، وبدء صفحة جديدة شهدت توقيع معاهدة باريس في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٩٠ لترتيب «البيت الغربي»، وعلان انتهاء حرب باردة استمرت بينهما منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥، كما ادى زلزال الخليج الى تغيير في العلاقات القائمة بين ما اسماء الغرب «العوالم الثلاثة».

ان هذا الحوار الذي يستهدف تعزيز العلاقات بين امتين قديمتين وحضارتين عريقتين من اجل اسهامهما الفعال في تعمير عالمنا، يدعو الى الفهم خواطر كثيرة، من بينها ان هذه العلاقات موعلة في القدم، فهي كما يقول المؤرخون ترجع الى بضعة قرون قبل الميلاد حين قامت صلات تجارية بين بلاد العرب وبلاد الصين، واصبحت وليقة في القرون الاولى بعد الميلاد، وان لم تدون الا في اواسط القرن الخامس الميلادي. وقربت بعد ظهور الاسلام في القرن الهجري الاول، السابغ الميلادي واقترب اسم الصين في اذهان العرب بصورة كثيرة من خلال التفاعل الحضاري الذي حدث والامر لمارا طيبة. وتردد في لوساطنا القول المأثور «اطلب العلم ولو في الصين»، والتسقى حكماء صينيون وعرب على الفكر الفلسفي من بينهما فكرة «الطريق» الروحي «تأو»، المتصلة بالحقيقة القصوى وبالرحلة اليها. وقد راينا هذه العلاقات وهي توطد في عصرنا اثر تفجر ثورة التحرير في اسيا وافريقيا وتدفق موجاته وسط ظروف صعبة وفي مواجهة تحديات قوية على صعيد عالمنا.

سنحاول في هذه الورقة الوقوف على ما هو مطروح اليوم بشأن «النظام العالمي الجديد»، والنظر في سبب بروز فكرته، ثم نعالج عددا من القضايا المتصلة به. يتردد الحديث بكثرة في عالمنا عن «النظام العالمي الجديد»، ويستخدم للتقاش حول هذا المصطلح في اسمه ومضمونه. وسط اعلام مكثف ونجد في هذا الحديث من يرى ان هذا النظام العالمي الجديد قد قام

الحليفة لأميركا وغير الحليفة على السواء تستطيع دعم السياسات الأميركية أو قبولها على الأقل إذا كانت تصرفاتها مرتبطة على أنها تستند إلى قانون يلزمنا كما يلزمهم. وبرز في النقاش أيضا تحذير عدد من اتباع المدرسة الواقعية، الرئيس بوش من أنه «سيندم على سيره في طريق القانون الدولي والالتزام بالنظام العالمي الجديد الذي تحدث عنه». على حد قول جورج وبل، «لأن هذا الالتزام سيغني أن نسلم بالتخلي عن حرياتنا في العمل في مناسبات ونسمح لتقويضاتنا القيمة لكل حالة بمفردها أن تحدد بقواعد يمكن أن تجاهلها كمخطنين، كما سيغني احترام سيادة حكومات نحن لا نرغب فيها. وسيعني السماح لأحكام أمم أخرى أن تمسك بأيدينا أحيانا عن الحركة حتى حين نلظ أن تلك الأحكام خاطئة. تلك أن القانون الذي لا يطاع إذا لم تتلف معه ليس بقانون. والمناداة بالقانون الدولي حين يتلاءم مع مصالحنا تعني أن نحترمه حين لا نريد ذلك». كما اختتم مايكل ماكيني حديثه. ويصف هؤلاء احلام النظام العالمي الجديد بأنها زائفة مجادلين بأن الوضع الذي برز في مجلس الأمن إبان أزمة الخليج ليس مستقرا، وأن النجاح الأميركي في إقامة التحالف الدولي ليس من الممكن تكراره. وهم يرون أن على الولايات المتحدة أن تكون منتقبة وتعتمد اختبار سياسة تحالفاتها وتعتمد توازن القوى أساسا. وينكرون بأن هذا الأساس جعلها تكسب الحرب الباردة. ويدعون الأميركيين إلى إعادة النظر في اعتراضهم على مبدأ توازن القوى بسبب حيادية القيمي الظاهر لأنه الأساس العملي المناسب. كما أوضح هنري كيسنجر في مقاله «جدول أعمال لما بعد الحرب» الذي نشره في «نيوزويك» بتاريخ ١٩٩١/١/٢٣.

كان واضحا في طرح الرئيس بوش لمصطلح «النظام العالمي الجديد» أنه يريد به نظاما تنفرد فيه الولايات المتحدة بالقيادة. وتعمل فيه باسم «الشرعية الدولية» مستخدمة منظمة الأمم المتحدة. وقد توقف إيريل كويل رئيس تحرير «كريستيان ساينس مونيتور» في مقال نشره في آذار ١٩٩١ أمام تصريح صادر عن البيت الأبيض أشار إلى «أن جورج بوش يريد جعل عام ١٩٩١ مفرقا تاريخيا مثل عام ١٩٤٥ في إطار تفسير العالم». وقال كويل أن استخدام مصطلح «النظام العالمي الجديد» ليس مجرد شعار حملسي أثناء الحرب، بل هو جواز يريد بوش أن يدخل به سجل التاريخ. وهو يعتقد بإمكان اللجوء لاستخدام الأمم المتحدة والمنظمات الإقليمية لوقف النزاعات وفرض السلام، لأنه يشعر بأن الوقت سيطول إلى أن يؤيد الرأي العام الأميركي مرة أخرى لفتنار قوات أميركية ضخمة مثل تلك التي أرسلت إلى الخليج أيا كانت تكلفة تلك الحرب ولهذا فهو يريد إيجاد مخرج لاستخدام الأمم المتحدة والوكالات الدولية الأخرى لحل الأزمات. وتجميع تحالفات متوازنة لفسوس العالم وتقوم بدور الشرطي العالمي. والمشكلة التي تواجه هذا التصور هي نفسها التي واجهت النظام العالمي في سان فرانسيسكو عام ١٩٤٥، فالأمم المتحدة تؤدي دورها كما يريد القوى

فعلا. ولذا يستخدم هؤلاء المصطلح معرفا ويتحدثون عن سمات النظام وعناصره وفعاليته وما إلى ذلك. كما نجد آخرين ينكرون قيامه مؤكدين «أن ما هو حادث اليوم إنما هو تدمير نظام وتوازنات القيمة منذ مؤتمر يالطا عام ١٩٤٥ في أعقاب الحرب العالمية الثانية، على حد قول دومنيك شيفالين المؤرخ الفرنسي للآهرام، «فلا يوجد اليوم نظام عالمي جديد». وقد عمل السفير شارل ليخستين رئيس تحرير مجلة «غلوبال أفيرز» إلى تغيير عنوان بحثه في مؤتمر علمي عقد في بروكسل في آذار (مارس) ١٩٩١ حول حلف الأطلسي، من «نحو نظام عالمي جديد» إلى «الابتعاد عن النظام العالمي الحالي». ونجد أيضا من يرى أن النظام العالمي يشهد اليوم تغيرا بفعل تفكك إحدى الدول الكبرى وتطلع دولة كبرى للانفراد في التحكم فيه، مما يزيد في أزمته. وينذر بتفجيره. ويدعو الأسرة الدولية لإعادة النظر فيه وتعديله بصورة تضمن سيادة العدل في عالمنا وتوفر الأمن للإنسان وامة الأرض.

الذين هذا المصطلح بالرئيس الأميركي جورج بوش الذي دأب على طرحه منذ انتهاء حرب الخليج، وكان قد تحدث يوم ١٩٩١/٧/٢٦ وهو يعلن بدء العمليات القتالية ضد العراق عن «نظام عالمي جديد» تبو الفرصة سانحة لإقامته. ووصف هذا النظام بقوله «حيث يكون حكم القانون هو ما يحكم تصرفات الأمم، وحيث نستطيع أمم متحدة تتوافر لها الصداقة استخدام دورها كصانعة سلام لإنجاز وعد موجدتها وتحقيق رؤاهم». وكان الرئيس بوش أشار إلى فكرة النظام العالمي الجديد حين أعلن امتنعه للاجتياح العراقي للكويت في آب (أغسطس) ١٩٩٠ وقال «أن ما يتعرض للخطر ليس بلدا صغيرا فحسبه بل فكرة كبيرة حيوية هي فكرة النظام العالمي الجديد». ويومها أكد الرئيس بوش على أن «أميركا والعالم يجب أن يدعما حكم القانون، ونحن سنفعل». وأوضح بجلاء في خطبه الذي أعلن فيه بدء الهجوم «أن الولايات المتحدة وحدها من بين أمم العالم هي التي تتوافر لها على حد سواء المكانة اللغوية والوسائل اللازمة لعملية النظام العالمي الجديد».

أثار طرح الرئيس بوش فكرة «نظام عالمي جديد» نقاشا محتدا دخل الولايات المتحدة وخارجها. وبرز في النقاش الذي جرى في الساحة الأميركية فريق تساعل «هل الحديث عن القانون الدولي يرد فقط حين يكون مناسبا لنا نحن الأميركيين»، واستنكر أن مبدأ ريفان كان رفضا واضحا للقانون الدولي. وأن فكرة «النظام» كقيمة عليا تمثل مساحة من الفكر في قلب القانون الدولي ولكن الولايات المتحدة لم توليها عناية طوال عقد الثمانينات. وأن ادارتي ريفان وبوش أولتا انتباهها ضئيلا في غرينادا ونيكاراغوا وبما لاعتبارات سيادة الدول. واستشهد مايكل ماكيني وهو يطرح هذه الآراء في «واشنطن بوست» يوم ١٩٩٠/٩/٣ بما كتبه دانييل مونيهان في كتابه الجديد «حول قانون الأمم» من «أن لاشي يمكن أن يقارن بخلشي فكرة قانون الأمم من العقل الأميركي». وأن الدول

للكويت، على أنه «ملا بوش عزما وتصميما، حيث اوضحت ثابته ان القيادة العراقية لا تفهم الا القوة واشارت انه يتعين ارسال قوات الى المنطقة فورا والى ان الامم المتحدة يجب ان تقوم في الفضل الاحوال بدور المساندة في هذا الجهد. وقد شاركت بريطانيا والولايات المتحدة في اقامة تحالف دولي تولى تنفيذ ذلك في اطار الامم المتحدة.

واذا كان اعضاء الجماعة الاوروبية الآخرون قد دخلوا في هذا التحالف الدولي، الا ان موقفهم لم يتطابق مع موقف الولايات المتحدة وبريطانيا في عملية ازالة الازمة ويجاد حل لها، وبدا واضحا ان لدى كثيرين من الدول الاوروبية ملاحظات وتحفظات على الطرح الاميركي لفكرة «النظام العالمي الجديد، اثناء الازمة والحرب وفي اعقبهما. واشتدت هذه التحفظات اخيرا في اعقاب اعلان وثيقة وزارة الدفاع الاميركية (البنطاغون) التي تتضمن استراتيجيات الولايات المتحدة حتى مطلع القرن المقبل وتحولت الى انتقادات. وتقول الوثيقة ان الولايات المتحدة ستكون القوة العظمى الوحيدة في النظام العالمي الجديد بفعل تفوقها العسكري والنووي والتقني، وان عليها الحفاظ على ذلك ولو ادى الى استمرار الانفاق العسكري والغضب دول اخرى مثل لمانيا واليابان. وانتقدت وزارة الخارجية الفرنسية الوثيقة على لسان وزيرها. وكشفت الاسئلة التي وجهت الى جيمس بيكر وزير الخارجية الاميركي في اعقاب اجتماع مجلس التعاون لحلف

اعضاؤها ووفق ما يحلق اغراضهم. ولكن كان من الصعب الحفاظ على هذا التوازن طويلا، ويلاحظ جيري ساندروز من جامعة كاليفورنيا في مقاله «التراجع من النظام العالمي» الذي نشره في مجلة «السياسة العالمية» في ربيع ١٩٩١، «ان رؤية الرئيس بوش للنظام العالمي الجديد مكونة من الفرعة للعاطفية القومية المتطرفة نفسها مثل فكرته عن ان هناك الف نقطة ضوء، وهي رؤية مكونة من اجزاء متساوية من الوهم والاسطورة. ويتسمثل الوهم في الاعتقاد بان المكانة المعنوية الفريدة لأمريكا صالحة على المستوى الكوني، وتتمثل الاسطورة في ان الولايات المتحدة لديها وسائل ليس لها نظير لحماية هذه المكانة والوهم الكوني واسطورة القطب الواحد سيقضيان لمانا فادحا من النظام العالمي ومن موارد الولايات المتحدة لو اصبحتا حقا دعائمي المفاهيم التي تحكم السياسة الخارجية للولايات المتحدة في عصر ما بعد الحرب الباردة.

حين نتأمل في النقاش الذي احتدم حول فكرة «النظام العالمي الجديد» في فترة الغرب الاوروبي على الصعيد الرسمي، نلاحظ ان للملكة المتحدة كان لها دور خاص في تشجيع الرئاسة الاميركية على هذا الطرح وعلى التصرف من وحيه من دون ان تعبر لانتباهها كغيرها لتحفظات الدول الاوروبية الاخرى على الفكرة. ويشير بخاصة في هذا الصدد الى الاجتماع الذي جرى بين الرئيس بوش ومارغريت ثاتشر رئيسة وزراء بريطانيا آنذاك، ولم يكن مخططا له في اعقاب الاجتياح العراقي

وعلى رغم تحفظاتها، وإضاف استقلالهما هذا وزنا كبير للحشد الذي يدفع عالم ما بعد الحرب الباردة في اتجاه هيكل متعدد الاقطاب، ويلفت النظر ان عنوانا رئيسيا في صحيفة «نيويورك تايمز» كان بعد تلك القمة الاقتصادية يشير الى «بروغ ميزان جديد للقوة مع انتهاء المانيا الغربية للقوة الاميركية»، وان عددا من المعلقين الصحافيين تساءل عما اذا كانت هذه هي حقا الايام الاخيرة في «السلام الاميركي»، وان ردود الفعل قدمت جوابا يؤكد على «ان اميركا مقضي عليها بان تفقد في القرن الحادي والعشرين بشرط ان تكون قوة عالمية، وبشرط ان يرى الآخرون ان هناك اخطارا تهدد امنهم ومصالحهم تيرر لهم ان يكونوا من التابعين».

• كاتب وسياسي فلسطيني

اولها، تركيز عملية صنع القرار في البيت الابيض والبنشاعون، مع قصر دور مجلس الامن على مجرد القيام بالعلاقات العامة وتوفير الدعم. والثاني، الحماس المبيت لاستخدام القوة العسكرية والاحتكار الواضح للديبلوماسية والعقوبات. والثالث، التصميم ليس على مجرد رد العدوان العراقي وفق قرارات مجلس الامن فحسب بل جعل «صدام حسين عبوة». وراى سنديز ان فهم السبب في هذه المعالجة يقتضي الانتقال من مملكة المبادئ والايديولوجيا الى مجال المصالح والقوة فقبل شهر من غزو الكويت شهدت قمة هيوسن الاقتصادية للدول للصناعة المانيا واليابان وهما يتصرهان بطريقة غير مسبقة في توكيد المكفة وتطرحان سياسات تجاه الاتحاد السوفياتي والصين على التوالي بمعزل عن قيادة الرئيس بوش

الاطلسي في بروكسبيل في اذار ١٩٩٢ عن مشاعر القلق التي تنتاب الاوروبيين ازاء «النظام العالمي الجديد»، ومن نزعة اميركية للهيمنة من خلاله. لعل اكثر ما يسبب قلق كثيرين من اعضاء الاسرة الدولية فيما هو مطروح حول هذا النظام ان ازمة القيم التي يعاني منها «النظام العالمي» منذ نشأته في اوروبا لا تزال تحكم التوجه الجديد، وان حرص الطرح على الحديث عن المبادئ والقانون وحقوق الانسان والاخلاق، وتتجسد ازمة القيم هذه في تحكم الاستشارة المصلحي، وسيطرة منطق «القوة الغاشمة». وقد لاحظ جيرري سوندرز في بحثه ان الرئيس بوش حرص على ان يعلن ان هدف اميركا من التدخل في ازمة الخليج هو «حماية الحرية، وحماية مستقبلنا، وحماية الابرياء، ولكن معالجة ادارته للارزمة تميزت بشواوب بثلاثة